The leader must die!

The leader must die!

أذهلني التشابه الكبير، تشابه حتى التطابق أحيانًا، البناية، المكان، الأشياء، الديكور نفسه، الجنود، الملابس، الرقباء، الملازمون والضابط الكبير نفسه أيضا، نفسه تماما.

فمنذ سنة تقريبا وأنا أنتظر الموافقة الأمنية على افتتاح روضة أطفال، اتفقت مع الشركاء على الخطوات كافة، وتركت عملي وتفرغت لتقديم الأوراق ومتابعة أمور الترخيص وتجهيز مكان ملائم لإقامة روضة نموذجية. لم يكلفني كل ذلك أكثر من شهر من العمل، وقد قرأت كل الكتب المتوفرة في تربية الطفل حتى يكون عندي ما فيه الكفاية من الخبرة العلمية. بعدها وضعت يدي على خدي وجلست أنتظر الموافقة الأمنية. إنها الموافقة الجوهرية التي من دونها لا أستطيع أن أعمل على الإطلاق.

قالوا لي بأنها تحتاج إلى شهرين أو ثلاثة، وربما ستة أو أكثر من ذلك.

طال الانتظار، ماذا أفعل.

جلست في البيت أمام الكومبيوتر ألعب حتى أحرق الوقت. أجمل الألعاب لعبة DOOM، فيها بطل قوي جدا وشجاع جدًّا، أقوده من خلال الكيبورد ليحتل وحده بناية للأعداء مسوَّرة وضخمة جدًّا. على فكرة، هذه اللعبة لعبة خطيرة على الأطفال، وعلى الكبار أيضا.

قدته في مغامرات ممتعة وشيقة، وكلما كان يقتل جنديا يستولي على بارودته وكل ذخائره، وإذا قتل رقيبا حصل على بارودة سريعة، وعلى

غيرها من الأدوات الحربية التي لا أعرف اسمها، المخبأة هنا وهناك. تقدمت في المراحل شيئًا فشيئًا، وكان علي بطبيعة الحال أن أجد المفاتيح الأصفر والأحمر والأصفر فإيجادهم يسهل عليَّ المتابعة ويفتح أمامي الأبواب ومن ثم يجب أن أفك كل الرموز والألغاز المتعددة، بمراحلها الطويلة التي لا تكاد تنتهي، وكلما كنت أحل لغزا معقَّدًا ظهر لغز أعقد.

كل ذلك من دون أن أنسى همي طبعا، صرت أذهب إلى الروضة الجاهزة والمقفلة أمسح الغبار عن المقاعد والألعاب وأتخيل البنات الأولاد يلهون ويمرحون فيها، وأذهب كل أسبوع إلى مديرية التربية لأعرف ماذا حصل بشأن تلك الموافقة الملعونة، حفظ موظفو الديوان وجهي وصاروا يجيبوني حتى قبل أن أسألهم:

ـ لسة الموافقة ما وصلت، ما وصلنا شي!

ومرة همس لي الموظف حتى أسعى إلى واسطة ما، وأن أدفع رشوة وسأحصل على ما أريد، فسعيت فعلا إلى واسطة وزاد عندي الأمل في الحصول على تلك الموافقة بسرعة، خاصة أنني لم أعمل في السياسة في كل حياتي ولم أخالف القانون يوما. ولم تكن الإجابات أكثر من وعود مؤكَّدة بأنها ستصل قريبا جدًّا.

عدت إلى البيت وإلى البطل الشجاع وأكملت لعبتي، فلم يكن أمامي من خيار آخر.

ذات يوم، وبعدما فقدت الأمل تمامًا بشأن الموافقة، طُرق الباب طرقات قوية وعنيفة، وقفت فزعا، ضحكت من نفسي، لأني بطلي كان في مأزق حرج، ومعرض للموت في كمين نصبه له الأعداء، أطفأت اللعبة بعدما حفظتها وخرجت لأرى من في الباب، لا أعلم لم هذه اللعبة صارت تؤثر على سلوكي، تخيلت أني بمجرد فتح الباب سأضغط على مفتاح إطلاق الرصاص Control، مددت يدي إلى مقبض الباب،

ضغطت بالإبهام Space، هه! ما هذه الحركات المجانية، غير أني صدمت بوجود رجل يضع نظارات شمسية شبيه بالضابط الموجود في معسكر الأعداء، تحركت يدي تلقائيا بحثا عن مفتاح Control، لكنه ألقى علي تحية جافة فخلصني من موقف حرج.

تبين أنه رجل مخابرات جاء حتى يجري معي تحقيقًا أوليًّا، تنهدت وأنا أقول في نفسي أخيرا جاء الفرج بعد سنة كاملة من الانتظار.

كان التحقيق عبارة عن أسئلة غير لطيفة إطلاقًا، وأول سؤال سألني إياه عن اسمي، توقَّعت أنه مخطئ، فلماذا يسألني عن اسمي وقد سأل عن بيتي وجاء إلي وجلس معي؟ نفخ وهو يزيل النظارة ونظر إلى عيوني نظرة تهديد، ثم قال بهدوء، وبشيء من الحنق بأن ألزم الانضباط التام، وبأني غير مخول بطرح الأسئلة أو تحديد نوعيتها، ومن الالتزام أن لا أسأل عنها، فأنا موضع اتهام وعلي أن أجيب وحسب، لا أن أسأل.

- اتهام؟!

قلت وأنا أجحظ عيني، فنفخ وسكت، وقال بأني مثل كل الناس موضع اتهام طالما أني غير متعاون. قلت له اسمي لأنتهي من هذا الخلاف الغبي، ثم سأل عن حياتي في كل مراحلها، في أي مدرسة درست؟ من ترافق؟ من هم أصدقاؤك، وهل عملت في السياسة ومع من؟ ثم سألني عن عائلتي، وأبناء عمومتي وأخوالي وكل أقاربي، وقد أجبت بكل ما أعرف.

بعدما انتهى، تناول ورقة وأعطاني إياها، قال بأنه يتوجب عليَّ أن أصل في الموعد المحدد، ثم أكد في الموعد تمامًا.

على الرغم من أن رؤية هذا الرجل لا تسر أحدا، فقد كنت فرحًا نوعًا ما، وإن بشيء من قلق. مع أني وضعت في حسابي أن أذهب على كل

حال، سوف أذهب مهما تكن النتائج، لأن سنة من الانتظار تجعل العاقل مجنونا، على الرغم من كل ما سمعته عن أساليب التعذيب والقهر التي تمارس هناك.

أمامي خمسة أيام، سأحتاط، سوف أذهب إلى واسطات من ضباط وغيرهم، المشكلة أنني ليس لدي خبرة في مثل هذه الأشياء، وليكن، فيجب أن أسأل أقاربي عن الموضوع، سوف أسعى إليهم وأطلب منهم أن يذهبوا معي. أخاف من الذهاب وحدي إلى فرع مخابرات، لا بد من واسطة ثقيلة.

ارتديت ملابسي وخرجت، ابن عمي تاجر بناء مقطع موصل يعرف الكثير من الضباط، دخلت إلى مكتبه، أجرى عدة اتصالات مع أناس أجهلهم، ولكنهم من ذوي الشأن على ما يبدو، أو كما أوحى إليّ، تكلم كثيرا في أمور عامة وتافهة، وقليلا في موضوعي، أخذ منهم مواعيد، ثم قال إنه سوف ينهي الأمر وحده ويجب أن أضع قدميَّ في ماء بارد، لأن أمري بسيط جدًّا يمكن أن يحله بتلفون.

تساءلت بيني وبين نفسي: لِم لَم أذهب إليه منذ البداية وهو يعرف كل هذه الوسائل الأشياء؟ لربما كنت على رأس عملي منذ فترة طويلة. لم ينل ذلك من تفكيري وقتا طويلا، عدت إلى لعبتي مع بطلي الذي وصلت معه إلى مرحلة متقدمة، دخلت معه إلى مرحلة مجهولة، ضغطت مفتاح Tab، فظهرت خريطة المرحلة الأخيرة، إنها كبيرة جدا، وفيها الكثير من العراقيل والكمائن والمخاطر.

وبعد عدة أيام من الصراع والقتال الضاري خضت فيها مع بطلي معارك ضارية، وصلت إلى النهاية Exit، ضغطت مفتاح Space للخروج إلى مرحلة جديدة ففتح الباب على لافتة كبيرة كتب عليها " The leader must die!"، أين أجد ذلك الزعيم؟ رحت أبحث عن أماكن وجوده، لم أترك مكانًا على الخريطة لم أعد إليه وأبحث فيه، لم أترك

حائطًا إلا وبحثت فيه عن باب سري، فلم أجد شيئا، تفاجأت ببعض الجنود المختبئين، فأنهيت عليهم بعدة رشقات وأخذت ذخائرهم وتابعت، كادوا يقتلونني. لم يبق أمامي إلا الطابق الرابع فهو صغير ومعزول وهامشي، لربما يكون مختبئا هناك، صعدت على الدرج، ↑، ثم انعطفت صوب اليسار →، بحثت في كل الغرف وتفحَّصت جميع الجدران من دون أي جدوى.

جاء تلفون ابن عمي في لحظة كدت فيها أن أجن وأنا أبحث عن ذلك الزعيم. قال بأنه يتوجب علي أن أذهب وحدي، فهو أوصى عليَّ وسوف أستقبل استقبالا حسنًا ولن يكون هناك أي خطر من ذهابي وحدي، فشكرته لما عرفت بما قام من أجلي، ثم شكرته ست مرات متتالية لأني تضايقت من مكالمته الطويلة، ولكن المشكلة الآن أني سأذهب وحدي، تركني أرتاح في بيتي من دون سعي واضعا قدميَّ في ماء بارد، ورماني في اللحظة الأخيرة أمام المخابرات وحدي لا أعلم أي شيء ينتظرني.

صُدمت عندما وصلت إلى أمام فرع المخابرات، وقفت مذهولا وكأني واقف أمام الكومبيوتر أراقب فضاء لعبتي، كنت مرتاحا من عناء التفكير، بل إن لعبة الـ Doom الشيقة أعطتني شيئًا من الشجاعة، ولقد قضيت البارحة أبحث عن الزعيم المختفي في بناية شبيهة تماما ببناية المخابرات التي أقف أمامها، فمر الوقت هباء من دون تفكير بما سيحصل معي.

عندما اقتربت من العسكري أبو البارودة صدمت لأمرين، الأول أني لم أتهيَّأ لمثل هذا اللقاء مع جهة أمنية بغاية الخطورة، فلم يخطر على بالي، مثلا، أن أبحث عن أجوبة لأسئلة لربما تكون مفاجئة، بماذا أجيب؟ المشكلة أنني بأي زلة لسان، ربما أضيع في أقبية هذا الفرع لعشر سنين أو خمس عشرة سنة، لا يستطيع الدبَّان الأزرق أن يجدني، والأمر الثاني

الذي صدمني هذا التشابه شديد الوضوح بين بناية فرع المخابرات وبناية الأعداء في لعبة الـ Doom.

هنالك ساتر إسمنتي بارتفاع أكثر من متر تقريبًا، ممتد على كامل البناية أمام فرع المخابرات، وفي نهايته هنالك باب حديدي بالارتفاع نفسه ذو سكة حديدية، أما فوق الباب الرئيسي فهنالك لافتة قماشية كبيرة كتب عليها: "الثامن من آذار ذلك اليوم الذي اشرأبَّت فيه الثورة ونال الشعب السوري حريته".

أعطيت الجندي أبو البارودة الواقف عند الباب الحديدي ورقة التبليغ والهوية وأنا مذهول أردد الكلمات بآلية، فغاب داخل الفرع. حاولت التدقيق في البناية، حركت أصابعي، إصبع إلى اليسار على مفتاح ←، والأخر إلى اليمين على مفتاح →، ورحت أدقق في البناية قبل القيام بالهجوم، الكوريدور، المكاتب، الشبابيك، كيفية توزيع الجنود والرقباء والضباط، مرت عيني على اللافتة فعلقت على كلمة "اشرأبت"، فرحت أرددها بيني وبين نفسي "اشرأبت، اشرأبت، اشرأبت"، وكأنني أحاول حل هذا اللغز.

تفاجأت عندما هزني الجندي أبو البارودة من كتفي لأنني لا أسمعه، وأمرني أن أتبعه، سرت خلفه، صعدت الدرج، ↑، عبرت الممر خلفه ونحن ساكتان، كنت طول فترة عبورنا أحرك أصابعي، إصبع إلى اليسار ←، والأخر إلى اليمين →، أرقب المكان وأتهيأ لأي مفاجأة. وصلنا إلى نهاية الممر فأدخلني من خلال باب على اليسار إلى أوضة خالية إلا من كرسي خيزران مخلوع، من الصعوبة استخدامه للجلوس، له أرضية قش مثقوبة ثقبا كبيرا وأعلى المسند مائل. أمرني بالجلوس هادئًا من دون حركة ثم ذهب، فعلت مثلما أمرني. كان على أسفل الحائط أمامي لافتة قماشية كبيرة قديمة ومهترئة، مثل التي في أعلى

مدخل الفرع، مكتوب عليها: "لا حياة في هذا الوطن إلا للـ..."، لكن بقية الجملة غير واضحة.

كان الممر أثناء دخولي مألوفًا للغاية، بل أحسست أني عشت في هذا المكان لفترة طويلة، لقد عرفت كل شيء فيه أبوابه والأصنام المثبتة في الزوايا وأصص المزروعات من ذوات الأوراق الكبيرة والصور الضخمة المعلقة، عرفت كل شيء، مشيت خلف الجندي أبو البارودة وكأني البطل الشجاع الذي يمشي في لعبة DOOM، ولكن بغير أسلحة أو ذخائر، كيف يمكن أن أخلص الجندي من بارودته؟ خطر على بالي شيء من هذا، لا بد من أن صناديق الذخيرة في الأوضة الثانية على اليمين، هذه هي العادة. يجب أن أحمل خمسة مخازن مليئة بالرصاص على الأقل. إذا ما وجدت رشاشًا سريعًا، فسيكون ذلك أفضل بالتأكيد. سأفتك بالجنود العاديين أولا، ثم سأقتل الرقباء والمساعدين وسأجد المفتاح الأصفر للانتقال إلى الطابق الثاني، لا أظن أنني سأرى الكثير من المفاجآت، حتى وإن كان هنالك مفاجآت، فقد صرت خبيرا وأعرف كيف أتصرف، ولربما أجد مدفع RBG، سيسهل ذلك عليَّ الكثير من المشقات لاقتحام البناية من دون شك، ثم سأجد المفتاح الأحمر وأتابع إلى الطابق الذي يليه، لا بد من كل ذلك، لا بد من إيجاد المفاتيح كلها للخروج إلى مرحلة جديدة.

لم أنتبه إلى أن الساعة صارت الثانية بعد الظهر إلا عندما دخل الجندي أبو البارودة، أمرني أن أذهب إلى بيتي وأعود في الساعة الثامنة من صباح الغد.

سبعة أيام بكاملها، بقيت على هذا الحال، كل يوم آتي في الثامنة صباحًا، يدخلني الجندي أبو البارودة إلى تلك الأوضة وأبقى منتظرًا، لا أحد يكلمني أو يسألني أو يتحرش بي، وفي الثانية بعد الظهر أذهب إلى

بيتي. وفي كل الأحوال، كنت أفكر بلعبتي التي لم أستطع أن أجد لها حلا لذلك اللغز المعقد! كيف أستطيع أن أجد ذلك الزعيم وأقتله؟!!

في اليوم الثامن، بعد أن قرفت من حياتي وصرت مهيَّأ للانتحار في تلك الأوضة المنيوكة، جاء الفرج، دخل الجندي أبو البارودة، أمرني بالوقوف واللحاق به، بحثت عن مفتاح ↑، لحقت به في الكوريدور المؤدي إلى الداخل، تلفتُّ يمينًا → ويسارًا ←، راقبت الكوريدور من جانبيه، حسبت عدد الأبواب، كيف يمكن أن أحتمي من الرصاص المنصب من العمق؟ لا بد من إطفاء الأضواء، فذلك يساعد، أيضًا يمكن أن أحتمي بأصص المزروعات والأصنام الموزعة هنا وهناك. مشيت خلفه بحذر شديد، انحرف إلى اليمين فلحقت به →، صعدنا على الدرج العريض تفحصت أجزاء قليلة من الطابق الثاني والثالث، يبدو أن المكان مطابق للمكان في المرحلة التي وصلت فيها مع بطلي في اللعبة، واضح أن احتلالها سهل جدًّا، وصلنا إلى الطابق السادس، فتلني بعنف إلى الحائط وأمرني ألا ألتفت، قيد يدي خلف ظهري وربط خرقة سوداء على عيوني، مسك كتفي وفتلني بعنف، قال: "امشي ولا!" مشيت ↑، فتلني وتابعنا جهة اليسار←، مسكني من كوعي بعنف وقادني، استطعت أن أرى أجزاء من مكونات المكان، عند الأوضة السادسة أمرني أن أتوقف، وألا أقوم بأي حركة.

دخل إلى الأوضة ثم خرج بعد قليل، مسكني من كوعي بعنف وقادني إلى الأوضة ثم أجبرني على الجلوس على كرسي جلوسا خاطئا، ألقى تحية على الزعيم ثم خرج.

ساد صمت لخمس دقائق، شممت رائحة دخان سيكار فخم وخربشة أوراق خفيفة، ثم سمعت حركة تلاها أصوات خطوات على أرض المكتب وصار يتكلم، قال بأنهم يعرفون عني كل شيء ويأملون مني أن

أعاونهم، وقال بأنهم قد يعطونني الموافقة على افتتاح الروضة إن عاونتهم.

أبديت كامل الاستعداد لمعاونتهم، وقلت له بكل تأكيد، بأني أفدي وطني بروحي وحياتي إن اقتضى الأمر.

سألني عن بعض أصدقائي، أجبت بما أعرف عنهم شخصيا بمعلومات ليست كثيرة لأني منزوٍ على نفسي ولا أتدخل كثيرا في أمورهم الشخصية، ثم سألني عن واحد من أخوتي وعن عمله في السياسة وانتمائه إلى أحزاب ممنوعة، فأجبت بما أعرف فعلا ولم أقل شيئا مما يقوله الآخرون لأنني غير متأكد من هذه المعلومات. تعالت حدة صوته عندما قال بأنني أعرف كل تلك المعلومات ويتوجب علي أن أقولها.

سكتُّ، صار يمشي أمامي في أرض المكتب بسرعة وهو ينفخ، صفعني بكف يده ثم لكمني بقوة لكمة أفقدتني صوابي، ثم صرخ في وجهي:

- يا حيوان! عم تتغشمن على ربي؟ ولك ما بدك تاخد موافقة وتشتغل؟ ليش ما عم بتحكي يا منيوك؟! نحنا منعرف كل شي عنك وعن أخوك.. منعرف كل شي

- طيب ما دام بتعرفوا ليش عم بتسألوني إلي؟

- بدنا نعرف منك... بدنا ياك إنت اللي تحكي

سكتُّ، استمر صمت ما، أتتني رفسة على بطني وأخرى على خاصرتي فوقعت أنا والكرسي، صار جانب وجهي لصيقا بالأرض، فاقترب وداس على رقبتي كان حذاؤه كبيرا، ضغط على رقبتي، ضغط

بقوة، انزاحت الخرقة عن عيني قليلا، وأنا أتلقى الرفسات وفي كل جسمي، استطعت أن أرى المكان بجلاء.

لمع في ذهني حل اللعبة.

كانت الرفسات تأتيني من حذاء الزعيم على رأسي وظهري وبطني وكل جسمي، حتى أغمي علي أخيرًا ولم أعد أشعر بشيء.

استيقظت على صدمة كهربائية قوية فلذت بالحائط.

سأنتقم!

نادى بصوت عالٍ، فدخل الجندي أبو البارودة:

-عملوا لو اللازم، وتوصوا لي فيه، بدي إسمع صريخو لهون.

بعد أن عملوا لي اللازم وأكثر، رماني الجندي أبو البارودة في الأوضة المنيوكة خرقة بالية.

سأنتقم!

لا بد لحل اللعبة من أن يفتح باب الزعيم واحد من أتباعه، هذا هو الحل الوحيد، يجب قبل كل شيء أن أبدأ اللعبة من البداية.

عند باب الفرع ذكرني الجندي أبو البارودة بموعد الساعة الثامنة من صباح الغد، مشيت بخطوات جادة إلى زاوية الساحة المقابلة للفرع، وقفت هناك أراقب واجهة المبنى، بابه، طوابقه شبابيكه اللافتة المكتوب عليها شعار اشرأبت، لقد صار عندي معلومات أظن أنها كافية عن كامل البناية وعناصرها وموجوداتها وذخائرها، أعيد قراءة لافتة اشرأبَّت من جديد، أدقق فيها النظر، فألمح:

The leader must die!

سأبدأ اللعبة من هذه اللحظة، سأضغط مفتاحي↑+Shift معًا للتقدم بسرعة، سأقطع الساحة بلمح البصر، وعندما أصبح عند الباب الحديدي ذي السكة سأضغط مفتاح الانحناء Z حتى لا يراني الجندي أبو البارودة ولأكون مفاجئًا أكثر، سأنقض على الجندي أبو البارودة أخلصه إياها، ثم أضغط مفتاح Control وأقتله، ثم أتابع اقتحامي للفرع حتى أصل إلى الزعيم.

هذه أول خطوة حقيقية يجب أن أقوم بها.

– Z -Shift+↑ Control - Z -Shift+↑ Control Shift+↑ Control -Space .....Control